باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ
جناب التوحيد و سده كل طريق يوصل إلى الشرك

أيها الفضلاء،يا من شهدتم أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ﷺ،لما ذكر الشيخ رحمه الله أن السبب الأعظم للشرك هو الغلو في الصالحين و أن الغلو في قبور الصالحين هو أشر ذلك الغلو الذي يدعوا إلى الشرك،بين في هذا الباب أن النبي ﷺ حمى جناب التوحيد من هذا الباب،أعني ما يتعلق بالقبور و لم يرد الشيخ رحمه الله أن يتحدث في هذا الباب عن حماية النبي ﷺ للتوحيد من كل وجه،فإن هذا و إن كان حاصلا، فإن النبي ﷺ منذ أن بعثه الله إلى آخر لحظة له في الدنيا: كان يدعوا إلى التوحيد ،و كان يحذر من الشرك، و كان يحمي جناب التوحيد ، و قد تقدم معنا شيء ذلك و أن النبي ﷺ قال:((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله)).

و لما قال القوم أنت سيدنا، قال: السيد الله تبارك و تعالى،فلما قالوا أنت أفضلنا فضلا و أعظمنا طولا، قال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم و لا يستجرينكم الشيطان.

وقال ﷺ:((إنما أنا محمد بن عبدالله،عبد الله و رسوله و الله إني لا أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله)).

و ما تقدم معنا في الأبواب السابقة إنما هو من حماية النبي ﷺ لحمى التوحيد،لكن الشيخ في هذا الباب أراد أن يبين حماية النبي ﷺ حمى التوحيد من جهة القبور و يدلك على ذلك أمران:

١/ الأمر الأول :

أن الشيخ هنا لم يذكر إلا ما يتعلق بحماية جناب التوحيد من جهة فتنة القبور.

٢/ و الأمر الثاني:

أن الشيخ رحمه الله عز وجل عقد الباب قبل الأخير حول هذا الموضوع في باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد و سده طرق الشرك، فهذا باب خاص و ذاك باب عام.

فهذا يدلك على إنما أراد هنا حماية النبي ﷺ لحمى التوحيد من جهة فتنة القبور.

فإن قال لنا قائل لماذا غلظ الشيخ و عقد أبوابا كثيرة متعددة متعلقة بفتنة القبور؟

فعقد بابا فيما جاء من أن سبب شرك بني آدم و تركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، وعقد بابا فيما جاء في التغليظ فيمن عبد **الله** عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده، وعقد بابا فيما جاء من أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، ثم عقد بابا في حماية النبي ﷺ جناب التوحيد و سده كل طريق يوصل إلى الشرك .

قلنا لأن فتنة أقوام من هذه الأمة بالقبور عظيمة جدا، حتى ألفوا ما يفعل عند القبور و أصبحت طبائعهم و فطرهم لا تنكر ذلك، بل إن الواحد منهم يقول أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله و يذبح لصاحب القبر.

فلما خف الوازع الطبعي شدد الشيخ في الوازع الشرعي لأنه كما تقدم معنا يا إخوة الإنسان يزعه عن الشر وازعان:

١/ طبعي فطري موجود في فطرته و طبعه.

٢/ و شرعي.

فإذا خف الوازع الطبعي بسبب من الأسباب، فإنه يشرع أن يشدد في الوازع الشرعي حتى يحصل المقصود شرعا من الزجر.

قال الشيخ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ:

لله عباد اصطفاهم و اختارهم و هم عباد أخيار كما قال الله عز وجل عن إبراهيم و إسحاق و يعقوب:

{ و إنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار} الله عز وجل ذكر عن إبراهيم و إسحاق و يعقوب أنهم عنده سبحانه و تعالى من عباده الذين اصطفاهم الأخيار و لا شك أن النبي ﷺ من هؤلاء المصطفين الأخيار،بل هو سيدهم و أشرفهم. النبي ﷺ لا شك إنه من المصطفين الأخيار.

فالمصطفى هنا أيها الإخوة هو النبي محمد ﷺ، و قد قال النبي ﷺ:«**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى من قريش بني هاشم و اصطفاني من بني هاشم**» رواه مسلم في الصحيح.

فالنبي ﷺ مصطفى و إنكار بعض الأشياخ إطلاق لفظ المصطفى على النبي ﷺ مجانب للصواب.

النبي ﷺ يقال له المصطفى و لا شك أنه خير الأخيار المصطفين ﷺ.

و معنى ((**اصطفى**)) أي:اختار و جعلهم صفوة خلقه من الصفوة و صفوة الشيء هي:خيره.

صفوة الشيء:خير الشيء.**و الصافي هو**:النقي الذي لا كدر فيه.فالنبي ﷺ من المصطفين الأخيار بل هو سيدهم كما ذكرنا.

قال:باب ماجاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد:

جناب التوحيد:أي جهة التوحيد و ناحية للتوحيد،أي النبي ﷺ جعل للتوحيد حمى و حماه من أن ينتهك أو يقترب منه. و لا شك أن النبي ﷺ قد فعل ذلك و لا سيما فيما يتعلق بفتنة القبور و الأحاديث التي تقدمت معنا من تغليظ النبي ﷺ في ذلك إنما هي لحماية النبي ﷺ جناب التوحيد.

وقوله تعالى:{لقد جاءكم رسول من أنفسكم}

قال عز وجل:((**لقد**)): و اللام هنا يقول العلماء موطئة للقسم.

فكل ما جاء في هذه الآية مؤكد بثلاث مؤكدات:

١/ بالقسم الموطأ له، ٢/ و باللام، ٣/ و بقد.

والله عز وجل إذا أكد شيئا فذلك لبيان عظمه و إلا فالله صادق القيل لكن يؤكد لبيان عظم الشيء:

((**لقد جاءكم رسول**)) :أي مرسل من الله .((**من أنفسكم**)):

١/ قال بعض أهل العلم:

أي من جنسكم أيها البشر وهذا يدل على أنه رسول من الله عز وجل، فإنه بشر مثلكم يأكل كما تأكلون و يشرب كما تشربون،لكنه جاءكم بأمر لا تستطيعونه،فجاءكم بالقرآن و جاءكم بأخبار السابقين و جاءكم بأمور تقع و قد رأيتم وقوع بعضها و هذا يدل على أنه رسول من عند الله سبحانه و تعالى،فليس لبشري منكم أن يأتي بمثل ما أتى به ﷺ و هذا قول لبعض أهل العلم،أي من جنسكم أيها البشر.

٢/ و قال بعض أهل العلم :

((**من أنفسكم**)):يعني من المؤمنين من جنس المؤمنين سواء أن كانوا عربا أو عجما، المهم أنهم من المؤمنين،كما قال الله عز وجل:{**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم**}:

قالوا فهذه الآية تفسر هذه الآية،من أنفسكم أي منكم يا معاشر المؤمنين.

٣/ و القول الثالث لأهل العلم في هذه المسألة:

((**من أنفسكم**)):أي أيها العرب لأن النبي ﷺ عربي،بعث في العرب.

طيب يقول قائل:النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة،بل بعث إلى الجن و الإنس، فلماذا يخص العرب هنا؟ يقال لأن الخطاب كان لهم و لإقامة الحجة عليهم،فهم الذين كانوا يخاطبون في ذلك الوقت ثم غيرهم تبع لهم .

و إن كنا نستظهر و الله أعلم المعنى الأول :

و هو أن النبي ﷺ من البشر و مع ذلك جاء بما تعجز عنه البشر و لا يمكن أن يكون ذلك إلا بوحي من الله عز وجل،فهذا يدل على أنه رسول.

((**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم**)):

((**عزيز**)):يعني صعب عليه .((**ما عنتم**)) أي :ما أشقاكم و أتعبكم.

فالنبي ﷺ من صفاته: أنه يصعب عليه ما يشق على الأمة و يصعب عليه ما يعنت الأمة و يتجنب ذلك ﷺ.

((**حريص عليكم**)):أي حريص على ما ينفعكم.

إذن اتصف النبي ﷺ بصفتين عظيمتين:

أما إحداهما: فهو حرصه على تجنيب الأمة الضر و الشر و ما يشق لأنه إذا كان النبي ﷺ يصعب عليه ما يشق على الأمة ،فمن باب أولى أن يصعب عليه ما يضر الأمة. إذن هذا في جانب دفع الشر و دفع التعب و دفع المشقة.

و الصفة الثانية: أنه حريص على ما ينفع الأمة و هذا في باب جلب الخير .

((**بالمؤمنين**)): و ما أعظم هذا الخطاب، هذا خطاب لكل مؤمن.

((**بالمؤمنين رؤوف**)): **و معنى رؤوف:** أنه عظيم الرحمة، فقد بلغ من الرحمة منتهاها بالنسبة للبشر.

((**رحيم**)):أي كثير الرحمة.انتبهوا: ((**رؤوف**)):يعني عظيم الرحمة. ((**رحيم**)):يعني كثير الرحمة ﷺ.

فالنبي ﷺ بالمؤمنين كثير الرحمة، عظيم الرحمة ﷺ.

و هذا يدل على أن النبي ﷺ كان يحمي جناب التوحيد، من أين؟

لأن أعظم منفعة على الإطلاق للإنسان أن يوحد الله سبحانه و تعالى.

فلا شك أن النبي ﷺ كان حريصا على التوحيد.

و من جهة أخرى أنه كان حريصا على منع الشرك، لأنه كان يصعب عليه أن يقع أحد في الشرك، لأنه إذا صعبت عليه المشقة على الأمة، فمن باب أولى أن يصعب عليه و يعز عليه أن يقع أحد من أمته في

الشرك. إذن النبي ﷺ حمى جناب التوحيد و سد طرق الشرك لأن بعض الناس لم يفهم وجه إيراد الشيخ لهذه الآية في هذا الباب.

فبعض أهل العلم اجتهد في هذا و قال هذه الآية كالموطئة لما بعدها ،يعني أنه كما أنه في هذه الصفات فهو قد جاء كذا و كذا، لكن الصواب :أن هذه الآية فيها دليل على أن النبي ﷺ حمى حِمى التوحيد و سد طرق الشرك كما أنها موطئة لما بعدها من الأحاديث.

في هذه الآية فائدة عظيمة فائدة للمؤمن عامة،و لطالب العلم خاصة و هو: أن يتشبه بالنبي ﷺ في هذا،لن نكون مثله أبدا ﷺ لكن يشرع لنا أن نتشبه بالنبي ﷺ، فيصعب علينا ما يعنت الأمة، ما يشق على الأمة، لا نأخذه كأننا نشرب الماء البارد ،يصعب علينا الأمر الذي يشق على أمة محمد ﷺ و يؤلمنا في قلوبنا و نسعى إلى إبعاد المشقة عن الأمة بالوجوه المشروعة.

و إذا كانت الأمة اليوم تعاني من اضطهاد أعدائها و كثرة المخالفين للسنة،فإنه ينبغي أن لا نشق على الأمة بألفاظنا،نحرص على أن تكون ألفاظنا دالة على الخير،دالة على الحق، فاضحة للباطل من غير مشقة على الأمة،نحرص على ذلك ما أمكننا ،نحرص على ما ينفع المؤمنين و أعظم ما ينفع المؤمنين:

أن يسلموا في دينهم،أن ندلهم على التوحيد،أن ندلهم على السنة ،أن نحذرهم من الشرك، أن نحذرهم من البدع، أن ندلهم على الأعمال الصالحة، و أن تكون في قلوبنا رحمة، من حرم الرحمة،من حرم الرفق حرم الخير كله.

تكون في قلوبنا رحمة للأمة كلها ثم رحمة لطلاب العلم، ثم رحمة لمن استقاموا على الطريق و كانوا على صراط مستقيم.

الغلظة: عندنا آخر الأدوية و هذا هو الشرع ،والله لا نلتفت إلى من يعيب علينا هذا الكلام لأن هذا ديننا،هذا فعل النبي ﷺ.

الغلظة: تعلمنا من النصوص، تعلمنا من سيرة النبي ﷺ، تعلمنا من سيرة السلف الصالح أجمعين، تعلمنا من علمائنا الذين تربينا على أيديهم منهم من مات و منهم من هو حي على أن الغلظة آخر الأدوية ،نقدم الرحمة و نبدأ بالرحمة و يا ليتنا نرحم إخواننا حتى الذين يخطئون علينا ما أجمل هذه المنزلة و ما أزكاها من مرتبة أن يبلغك عن أخيك أنه قال فيك قولا غليظا لا تستحقه و مع ذلك ترحم أخاك أن تنطق فيه بكلمة و هذه مرتبة علية.أسأل الله أن يرزقنا الجهاد لنصل إليها.

ولا سيما في هذا الزمان الذي يواجه فيه أهل السنة الحرب الشعواء،إذا أمكنك أن تغمض عينيك عن أمور تصدر من إخوانك،لا تقدح في دينك،فإن قد كنت ترى أنها تقدح في دينك رددتها بدون غلظة و لم تقدح في إخوانك الذين هم على الجادة ليس فيهم ما يقدح فيهم سوى أنه عليك مثلا إن أمكنك أن تغمض و تتعامل بالرحمة،فهذه منزلة علية ،نحتاج أن نجاهد أنفسنا فيها لنصل لهذه المرتبة لنتشبه بالنبي ﷺ.

قد يبلغك عن أخيك كلام و اليوم الحريصون على نقل الكلام الذي يفسد القلوب كثر، يأتيك الواحد و يتحدث معك و يسير معك و يتألم معك و يجاريك في الكلام و يستحثك على الكلام، فإذا أخذ شيئا طار به إلى أخيك وقال فلان اللي ما يتق الله،يقول فيك كذا و كذا،اليوم هذا كثير موجود، فلنفسد هذه الفتنة.

و أنا أقول دائما إذا بلغك شيء من أخيك إن كان ما يحتاج إلى رد و لا كلام تتركه كلية.

و إن كان يحتاج إلى رد فرد بكلام طيب يندفع به الشر و إن حصل قبل أن ترد أن تتصل بأخيك الذي تكلم بهذا الكلام ليرده هو لكان هذا أحسن ثم لا تشتغل عن دعوتك،سير في دعوتك إلى الله،ما دمت على الجادة،ما دمت على السنة،ما دمت على طريقة أهل العلم.

يا إخوة،يا معاشر المؤمنين،نحتاج أن نتدبر هذه الآية ،أن نحاول أن نتشبه بالنبي ﷺ في هذه الصفات العظيمة،ما أحوجنا إلى هذا في كل زمان و لكن في هذا الوقت العصيب أحوج فلنتخلق أيها الإخوة بهذه الأخلاق و لا يصدنكم عنها أن أناسا قد يغلقون عليكم،فإنه ما تمسك متمسك بالحق إلا أوذي لكن الشأن أن يصبر و يستمر و يسير على دعوة الحق، و لو لمح باطلا و لو صغيرا في كلامه هو فهمه أو أن أحدا و لو كان عدوا له و ليس أخا،أشار إليه في كلامه:رجع و أناب إلى الله،و قال استغفروا الله،هذا الكلام باطل،هذا المعنى الذي أشرت إليه باطل يرجع إلى الله و ما أحوج الدعوة إلى هذا،أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الصدق في المجاهدة حتى ننال هذه المرتبة العلية.

الشاهد أن هذه الآية :كما قلت لكم فيها دليل على حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال:قال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا و لا تجعلوا قبري عيدا و صلوا علي،فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»ر واه أبو داود بإسناد حسن ،و رواه ثقات.

قال الشيخ عن هذا الحديث رواه أبوداود بإسناد حسن و رواته ثقات.

و الشيخ في هذا تبع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،حيث قال عن هذا الحديث حسن رواته ثقات مشاهير, و الحديث رواه أبو داوود و أحمد و قد حسن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية و قال مع ذلك كما سمعتم رواته ثقات مشاهير و حسن إسناده أيضا ابن القيم و حسن إسناده ابن عبدالهادي ،بل قال ابن عبدالهادي: إنه حسن جيد الإسناد و له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، قال عن هذا الإسناد إنه حسن جيد،قال: و له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة و حسن إسناده أيضا الحافظ بن حجر و صحح إسناده النووي و الألباني.

فالحديث ثابت عن النبي ﷺ.

قال:((**عن أبي هريرة رضي الله عنه،قال:قال: رسول ﷺ:لا تجعلوا بيوتكم قبورا**)).

و جاء في الحديث:((لا تجعوا بيوتكم مقابر)) رواه مسلم.

و جاء في الحديث أيضا:((**لا تتخذوا بيوتكم مقابر صلوا فيها**)) رواه أحمد و ابن حبان و صححه الألباني.

و هذه القطعة من الحديث أيها الإخوة تدل على أنه لا يجوز دفن الموتى في البيوت لأن النبي ﷺ قال:((لا تجعلوا بيوتكم مقابر))

و هذا له حكم متعددة منها:

١/ أن دفن الموتى في البيوت يفسدها:

فإذا دفن الميت في البيت فإنه لا يصلى في هذا الموطن و يفسد البيت على أهله و لأنه ذريعة إلى تعظيمها،تعظيم القبور إذا كانت في البيوت،فإن الشيطان يأتي للناس،ويقول ما دفن هذا الميت في البيت دون المقابر إلا لعظم حاله،أو لأنه كان يستشفع به حتى تعظم ،فيقود ذلك إلى الوقوع في الشرك و لأنه بناءعليها و قد نهينا عن ذلك كما تقدم.

/ أيضا يا إخوة لأن دفن الميت في البيت يحرم الميت من دعوات المسلمين عند الزيارة له في المقابر:

إذا دفن الميت في المقابر كل ما جاء زائر إلى المقابر و سلم على هل القبور و دعا لهم دخل هذا في الدعوة،لكن إذا دفن في بيته حرم من هذه الدعوة.

إذن لفظ الحديث يدل دلالة ظاهرة على أنه لا يجوز دفن الموتى في البيوت.

فإن قال قائل :دفن النبي ﷺ في بيته:

قلنا أجبنا عن هذا سابقا، فهذه خصوصية للنبي ﷺ لأن النبي يدفن حيث مات و هذا له حكمة عظيمة كما تقدم معنا و هو حماية قبر النبي ﷺ من أن يجعل و ثنا يعبد.

كما تدل هذه الجملة على أن القبور تمنع الصلاة عندها لماذا؟

لأنه في اللفظ الآخر قال النبي ﷺ:((**لا تتخذوا بيوتكم مقابر،صلوا فيها**)).

إذن المقابر لا يصلى فيها،فدل ذلك على هذا.

٣/ و الأمر الثالث:الذي تدل عليه هذه الجملة الشريفة التي صدرت من نبينا ﷺ:استحباب صلاة النافلة في البيت واستحباب قراءة القرآن في البيت.

هذه الجملة يا إخوة تدل على أنه يستحب لنا أن نصلي النوافل في البيت،كما تدل على أنه يستحب لنا أن نقرأ القرآن في البيت.

قال لي قال قائل منكم:أما الصلاة فقد فهمناها لقول النبي ﷺ:((**صلوا فيها**)).

فمن أين أتى قول استحباب القرآن في البيت؟

قلنا إنه جاء في بعض الروايات عند مسلم و غيره:((**لا تجعلوا بيوتكم مقابر،إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**)). فنهى النبي ﷺ عن أن نجعل بيوتنا مقابر ثم قال :((**إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**)).فدل ذلك على أنه يستحب :أن يقرأ الإنسان القرآن في بيته.

بعض الناس لا يجعل قراءة القرآن إلا في المسجد،لا يقرؤه في بيته و هذا يفوت على نفسه أجرا لأن في قراءة القرآن في البيت أجرا، و يفوت على بيته الخير،فيكثر فيه الشر. و قد تدخله الشياطين و قد تكون فيه مشاكل.

كثير من الناس يأتوننا هذه الأيام يقول يا شيخ أنا بيتي كله مشاكل:

قد يكون من الأسباب أن أهل البيت لا يقرؤون القرآن في هذا البيت، فهذا الأمر تدل عليه هذه الجملة الشريفة:((لا تجعلوا بيوتكم قبور و لا تجعلوا قبري عيدا)).

النبي ﷺ يقول:((لا تجعلوا قبري عيدا)): و معنى لا تجعلوا قبري عيدا: أي لا تكرروا الزيارة تكرارا دائما و إنما الزيارة تكون للغريب الذي يأتي إلى المدينة و تكون لمن قدم من سفر من أهل المدينة.

ثم اختلف العلماء في زيارة قبر النبي ﷺ لأهل المدينة إذا كانوا مقيمين فيها:

فمنهم من منعها و قال لم يؤثر هذا عن الصحابة و لاعن السلف.

و منهم من قال إنها مشروعة بقصد الاعتبار و السلام على النبي ﷺ من غير إكثار، و هذا عندي **أرجح** و الله أعلم، أن الذي في المدينة إن شاء في فترات متباعدات أن يذهب إلى قبر النبي ﷺ ليتعظ و يعتبر هذ ا النبي ﷺ مقبور في قبره و ليسلم عليه فهذا جائز لعموم الأدلة:((**ألا إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة،أو فإنها لكم تذكرة،أو فإنها لكم عبرة**)).

فمعنى لا تجعلوا قبري عيدا: أي لا تكرروا الزيارة تكرارا دائما على وجه مخصوص كمن يخصصون الفجر لزيارة قبر النبي ﷺ: بعض الناس كلما صلى الفجر في المسجد النبوي ذهب و سلم،هذا جعل القبر عيدا. أو من يجعلون الجمعة وقتا لزيارة قبر النبي ﷺ،هذا جعل القبر عيدا .

أو من يجعل ذلك في كل شهر. أما أن يزور كما قلنا من غير تخصيص لوقت و لا إكثار، فالراجح من أقوال أهل العلم أن هذا لا بأس به.

أيضا مما يدخل في قول النبي ﷺ:((لا تجعلوا قبري عيدا)):

أي لا تقصدوا القبر في أوقات معينة ،فإن العيد يعاد في وقت معين،فلا تخصصوا الزيارة بوقت معين،و هذا ما فهمه السلف من هذا،لسنا الذين فهمنا هذا يا إخوة،هذا فهمه السلف من الصدر الأول،فقد جاء عن سهيل ابن أبي سهيل أنه قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني و هو يتعشى – بيوت الآل كان بعضها بجوار بيوت النبي ﷺ و كما قلنا القبر كان خارج المسجد،– فكان الحسن يتعشى ،فرأى سهيلا عند القبر ،فقال رضي الله عنه :((**هلم إلى العشاء**)) كان من أجود الناس الحسن زين العابدين كان من أجود الناس،كان يضرب بكرمه المثل،فقال:((**هلم إلى العشاء،قلت لا أريده،فقال:مالي رأيتك عند القبر**))ماذا تفعل عند القبر؟

((**قلت:سلمت على النبي ﷺ،فقال :إذا دخلت المسجد فسلم**)) ما يحتاج أن تذهب إلى القبر،لأنه من السنة إذا دخلت المسجد أن تقول:بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله،هذا يكفي ،إذا دخلت المسجد وسلمت يكفي،ما يحتاج أن تذهب إلى القبر،((**قال:إذا دخلت المسجد فسلم،ثم قال:إن رسول الله ﷺ،قال:لا تتخذوا قبري عيدا و لا تتخذوا بيوتكم قبورا و صلوا علي،فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم**))،ثم قال لسهيل:((**ما أنتم و من في الأندلس إلا سواء**)) **سلامكم يبلغ وسلامهم يبلغ**كما سيأتي إن شاء الله.

هذه القصة رواها:سعيد بن منصور،قال الألباني:بإسناد جيد .و أيضا القصة التي معنا تدل على ذلك.

طيب قال:((**و لا تجعلوا قبري عيدا و صلوا علي**))

و الصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأعمال عبادة سهلة شريفة و قد تقدم مرارا بيان فضلها و أن من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات و محى عنه عشر خطيئات و رفع له عشر درجات.

الله أكبر يا إخوة، ﷺ مع أنها حق للنبي ﷺ و دالة على محبة النبي ﷺ و دالة على السلامة من البخل،إذا قلت أنت ﷺ،صلى الله عليك عشر صلوات،و محى عنك عشر خطيئات،و رفع لك عشر درجات،فإذا قلتها مرتين أصبحت عشرين ،إذا قلتها ثلاثا أصبحت ثلاثين و هكذا.

ما أكثر ما فرطنا في الأجور،نسأل الله أن يهدينا و النبي ﷺ سر و استبشر ببشارة،فقد رؤي السرور العظيم في وجه النبي ﷺ و قال:(**أتاني آت من ربي) و في رواية:(إن جبريل قد أتاني).**

و في رواية:(إن الملك قد أتاني،فقال يا محمد أما يسرك أن أصلى على من صلى عليك واحدة عشر صلوات و أسلم على من سلم عليك تسليمة واحدة عشر تسليمات) .

أو كما ورد، فسُر النبي ﷺ بهذا:سُر لأنه يصلى عليه و يسلم عليه و سر من أجلكم أيها الأمة،أن الله جعل لكم بسببه في كل صلاة عشر صلوات و في كل سلام عشر تسليمات ﷺ.

ما أعظم ما أكرم الله به رسوله ﷺ .

قال:(و صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم):

ما العلاقة بين قول النبي ﷺ:(**و لا تجعلوا قبري عيدا و صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم)** ؟هذه العلاقة يا إخوة أن الذي يذهب إلى القبر مرارا قد يحتج يقول أنا فقط أريد أن أسلم،أنا أريد أن أصلي على النبي ﷺ،فحسم النبي ﷺ الباب ،قال:صلوا علي من أي مكان:((**فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم**)) أو:((**حيث كنتم**))،و هذا يدل يا إخوة على أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد ،فبين لنا أن القبور لا يصلى عندها و لكن جاء بجملة حوت فوائد كثيرة:((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**)):

و هذا أيضا يا إخوة يدل على أن الصحابة كانوا يعرفون أن القبور لا يصلى عندها لأنه لو لم يكن يعرفون ذلك لكانت هذه الجملة ضائعة، لا فائدة منها:((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**))ما تفيد.

أيضا حمى حمى التوحيد بمنع تكرار زيارة قبره بكثرة لأن ذلك قد يقود إلى الوقوع في الشرك و حسم الباب و الذرائع ،قد يأتي شخص يقول أنا ما أذهب إلا لأصلي على النبي ﷺ،قال:((**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**))،و كيف يبلغه تسليمنا و صلاتنا عليه ﷺ؟

بين لنا النبي ﷺ ذلك فقال:((**إن لله ملائكة سياحين في الأرض ،يبلغوني من أمتي السلام**)).

رواه أحمد،و النسائي،و ابن حبان،و صححه الألباني.

النبي ﷺ يقول:((إن لله ملائكة))،ما وظيفتهم؟

سياحون في الأرض،أي يذهبون في الأرض و ينتشرون في الأرض،((**يبلغوني من أمتي السلام**)) و هذا يدل على كثرتهم لأنه كلما سلم أحد على النبي ﷺ من الأمة،بلغت الملائكة النبي السلام ،.

قال العلماء:و هذا يشمل الأمة كلها سواء كان المسلم رجلا أو امرأة أو صبيا أو عبدا أو غير ذلك،فالملائكة تبلغ النبي ﷺ سلام أمته،و النبي ﷺ:((**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي،حتى أرد عليه السلام**)).

رواه أحمد، و أبو داود، و قال ابن حجر:رجاله ثقات ،و حسنه الألباني.

((**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي**)) أي أن سلامك على النبي ﷺ يبلغه بل يرد النبي ﷺ السلام.

١/ بعض أهل العلم قال: هذا الحديث الأخير خاص بمن سلم عليه عن قرب.

٢/ و بعض أهل العلم قال: بل عام، فحيثما سلم مسلم على النبي ﷺ،رد الله علي روحه،فرد السلام على المسلم. إذن عرفنا كيف تبلغ الصلاة و السلام على النبي ﷺ.

و قوله:((**و صلوا علي**)): دليل على أنه يشرع أن يصلى على النبي ﷺ و لو بدون التسليم،لأنه **قال**:((**و صلوا علي**)) ،ما قال:((و صلوا علي و سلموا)).

قال:((**و صلوا علي**)): **فيصح** أن تقول:صلى الله عليه، **و يصح**:أن تجمع بينهما فتقول ﷺ.

و يصح: أن تفرد السلام و تقول:عليه السلام. كل هذا جائز خلافا لمن كره إفراد الصلاة أو كره إفراد السلام.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه :و أنه رجلا يجيء عند فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعوه،فنهاه،و قال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال:لا تتخذوا قبري عيدا،و لا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم.رواه في"المختارة".

هذا الحديث مسلسل بآل البيت:((عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة)):

أي فتحة كانت موجودة كانت عند قبر النبي ﷺ،((**فرجة في الجدار**)) فتحة في الجدار،كانت عند قبر النبي ﷺ،فيدخل فيها فيدعوا،يخصص هذا المكان للدعاء،يأتي يدخل بهذه الفرجة و يدعو فنهاه عن ذلك.

قال العلماء نهاه عن الأمرين: عن دخوله في الفرجة، و عن دعائه.

دخولهم في الفرجة:أي تخصيص هذا المكان ،و عن دعائه عند القبر.

و قال:((**ألا أحدثكم**)) طيب هو رجل ،الظاهر و الله أعلم أنه لما نهاه كان هناك رجال،فأراد أن يفيدهم،**فقال:**((**ألا أحدثكم**)) يعني للرجل و من وجد.

((**ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي**))الحسين رضي الله عنه ،((**عن جدي**)) :علي بن أبي طالب رضي الله عنه،والله إننا نحبهم و لا يحبهم إلا مؤمن و لا يغلوا فيهم إلا ضال ،عن رسول الله ﷺ قال:((**لا تتخذوا قبري عيدا و لا بيوتكم قبورا،فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**)).

قال رواه في المختارة:يعني رواه الضياء المقدسي الحنبلي في كتابه الأحاديث المختارة.

و هذا يعني الحديث مع القصة رواه: ابن أبي شيبة،و أبو داود،و عبدالرزاق،وجود إسناده الشيخ الألباني قال هو :صحيح بطرقه و شواهده.

و الذي فيه هو الذي في الذي تقدم لكن الشاهد من القصة:أن السلف فهموا من قول النبي ﷺ : ((**و لا تجعلوا قبري عيدا**)): النهي عن تكرار الزيارة و تخصيص الزيارة بأشياء معينة أو أوقات معينة،جاء اللفظ كما رواه الشيخ عند الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة .

و جاء عند أبي شيبة و أبي داود:((**و صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم**)):

و جاء عند عبد الرزاق و ابن أبي شيبة،قال :((**و صلوا علي حيث ما كنتم،فإن صلاتكم تبلغني**)):

و جاء عند البزار:((**و صلوا و سلموا علي**))،أو ((**و صلوا علي و سلموا ،فإن صلاتكم تبلغني**)).

البزار هنا جمع بين الصلاة و السلام،((**فإن صلاتكم تبلغني**)) .

فدل ذلك أيها الإخوة أن تسليمنا على النبي ﷺ يبلغه و على أن صلاتنا على النبي ﷺ تبلغه.

فدل هذا على أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد حماية تامة و أن الصحابة و السلف قد فهموا ذلك،فلم يؤثر عن الصحابة أنهم كانوا يكررون الزيارة إلى قبر النبي ﷺ،بل لم ينقل عنهم أنهم كانوا يزورون القبر، فهذا يدل على فهم الصحابة لحماية النبي ﷺ جناب التوحيد و كذلك السادة من التابعين و من بعدهم من أئمة المسلمين المعتبرين.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

((**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**)) كما بيناه.

الثانية: إبعاده أمته ﷺ عن هذا الحمى غاية البعد.

حرص النبي ﷺ على أن لا تقترب الأمة من الشرك أبدا و أن تكون الأمة داخلة في حمى التوحيد.

كان النبي ﷺ حريصا على ذلك أشد الحرص.

الثالثة: ذكر حرصه ﷺ علينا ورأفته ورحمته.

و هذا يقتضي منا أن نقوم بحقه، و أعظم حقه أن نتبعه و أعظم الإتباع على الإطلاق،اتباعه في التوحيد،ما أتبع من ضيع التوحيد،ما اتبع من دخل في الشرك،أعظم اتباع النبي ﷺ أن نكون من الموحدين.

الرابعة: نهيه ﷺ عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

قال:نهيه عن زيارة قبره ﷺ على وجه مخصوص، على صفة مخصوصة كتكرار الزيارة و كثرتها،مع أن زيارة قبره من أفضل الأعمال يعني من الأعمال الفاضلة لا لخصوص قبره ﷺ و إنما لمشروعية زيارة القبور وأنها من الأعمال التي فعلها النبي ﷺ في حياته،فزار قبور البقيع و سلم على أهل القبور و دعا لهم،و زار الشهداء قبور الشهداء و معه أصحابه.

فمع أن زيارة القبور من أفضل الأعمال ،نهى النبي ﷺ عن تخصيص قبره بشيء،لأن هذا يقود إلى التعظيم،الزائد المغالى فيه الذي يقود الإنسان إلى الشرك و العياذ بالله.

الخامسة: نهيه ﷺ عن الإكثار من الزيارة.

نهيه ﷺ عن الإكثار من الزيارة.

والحظ أن الشيخ فهم هذا، أن النهي هو عن الإكثار لا عن مطلق الزيارة.

فمن كان من أهل المدينة و يزور أحيانا في أوقات متباعدة للإتعاظ و الإعتبار و السلام ،فهذا لا بأس به.

السادسة: حثه ﷺ على النافلة في البيت.

لقوله :((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**))أي صلوا فيها و قد صرح بهذا في بعض الروايات.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

لأن النبي ﷺ اكتفى بقوله:((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**)).

فهذا يدل على أنه قد قدم لهم أن الصلاة في المقابر لا تجوز.

الثامنة: تعليله ﷺ ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد.

فسد الزريعة لكثرة الزيارة، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.وكما قال:((**و ما أنتم و من في الأندلس إلا سواء**)).

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

نعم يعرض عليه الصلاة و السلام،هذا الذي دل عليه الدليل و لم يدل دليل على غيرذلك، لم يدل أن صلاتنا المفروضة مثلا تعرض عليه ،أن صدقاتنا تعرض عليه و إنما الذي يعرض عليه ما تعلق به ﷺ و هو صلاتنا و سلامنا عليه ﷺ و هو يرد السلام على من سلم عليه .